## 10- القصة

**تعريف القصة:**

إذا كان الشعر من الفنون الأدبية الأكثر ارتباطا بالذات والوجدان، والموسيقى جزء هام من مكوناته، فإن فن القصة من الفنون النثرية الأكثر ارتباطا بالحياة وبما يجري في المجتمع الإنساني، لذلك يذهب محمد يوسف نجم إلى أن القصة مجموعة من الحوادث التي تقوم بها شخصيات من المجتمع تحيا بين ظهرانينا وتسلك سلوكات متباينة كالتي يسلكها جميع البشر ومهمة القاص تكمن في قدرته على نقل هذه الحوادث وتصوير تلك الشخصيات وهي تتصرف في محيطها.

**عناصرها:**

إن العمل القصصي لا يكاد يخلو من عناصر أو مكونات يبنى عليها، كالحوادث، والشخصيات، والبيئة، والفكرة، والأسلوب أو الإخراج.

**فالحوادث** تتمثل في تلك الأفعال التي يقوم بها أشخاص القصة، أو المواقف التي قد يتعرضون لها، وعلى هذا الأساس فإن الحوادث لا تجري بمعزل عن **الشخصيات** التي هي نماذج من البشر ابتدعها القاص ولكنها ليست أسطورية بل هي مقتبسة من الحياة ومن المجتمع الذي يعيش فيه، شخصيات إناث وذكران، تولد وتحيا وتموت، تفرح وتسعد، وتحزن وتشقى، تنجح وتخيب، تنزع إلى الخير كما تميل إلى الشر، تؤثّر وتتأثر، كالتي تعيش معنا تماما، فالقاص له القدرة على الإحساس بما يجري حوله بفضل احتكاكه ببني جنسه، كما أن له القدرة الفنية على نقل هذه التجارب في عمل إبداعي فني مؤثر، ويختار القاص لهذه الشخصيات والحوادث **بيئة زمانية** تعيش فيها، كما يرسم لها **بيئة مكانية** هي ذلك المحيط الاجتماعي والطبيعي والجغرافي الذي تتحرك فيه، أما **الفكرة** فمتى كان الكاتب صادقا فيما ينقله، فإنه لا يقحم نفسه إقحاما في التركيز عليها، لأنها ستظهر من خلال عمله الفني وتنكشف للقارئ ويتأثر بها ويتجاوب معها بإنسانيته، وأما الأسلوب أو **الإخراج** فنعني به طريقة التعبير واللغة التي يوظفها القاص لإخراج عمله الفني، ولا شك أن لكل كاتب زاده اللغوي، وأسلوبه المتميز في العرض عن طريق السرد والوصف اللذين يتوسم فيهما

الوضوح والخفة إلى جانب الحوار الذي ينتظر أن يكون ملائما لطبائع الأشخاص ومستوياتهم.

**الكتابة القصصية في الأدب القديم:**

لعل السؤال الذي يطرح نفسه هو ما إذا كانت القصة بمفهومها الفني قد ظهرت لدى العرب بشكل عفوي مثلما ظهر الشعر، ولعل إطلالة عجلى على تراثنا القصصي تطلعنا على محاولات متواضعة في هذا الجانب، من خلال كليلة ودمنة لابن المقفع وألف ليلة وليلة وبخلاء الجاحظ، وفن المقامات ورسالة الغفران لأبي العلاء المعري وحي بن يقظان لابن طفيل، إلا أن كليلة ودمنة كانت شخوصه من الطيور الحيوانات لا من البشر، كما أن أصوله ليست عربية محضة بل هو منقول عن الفارسية عن الهندية، ولقيمته التربوية والتوجيهية نقل إلى مختلف لغات العالم، أما قصص ألف ليلة وليلة فهي الأخرى تعود إلى بعض الأصول الهندية والفارسية، ويغلب عليها العنصر الخرافي، وكتاب البخلاء اقتصر فيه صاحبه على رصد قصص البخلاء ممن عرفهم أو سمع عنهم، أما فن المقامة الذي ابتدعه بديع الزمان الهمذاني - وإن كان الفن عربيا - إلا أن موضوعها انحصر في وصف أساليب الكدية والتسول والمكر للحصول على المال أو الطعام، أما الغرض من وراء أسلوبها فهو تعليم اللغة وأساليب البلاغة، ورسالة الغفران رحلة خيالية في عالم الغيب، وحي بن يقظان غلب عليها الطابع الفلسفي.

**القصة في الأدب الحديث:**

في العصر الحديث بدأت القصة متأثرة بأسلوب المقامات من خلال كتاب حديث عيسى بن هشام **لمحمد المويلحي**، وكتاب ليالي سطيح **لحافظ إبراهيم** ، إلا أنها حاولت أن تعالج قضايا تمس المجتمع، وتنتقد مظاهر التخلف.

كما لجأ بعض الكتاب إلى الترجمة والتعريب، مثلما فعل **رفاعة الطهطاوي** حين ترجم (مغامرات تلماك) للأديب الفرنسي (فينلون)، **ومصطفى لطفي المنفلوطي** الذي ترجم (بول وفرجيني للأديب الفرنسي برناردين سان بيار) إلى (الفضيلة)، و(مجدولين للأديب الفرنسي ألفونس كار) إلى (تحت ظلال الزيزفون)، ومما يميز أعمال المنفلوطي أنها تدور حول القضايا الاجتماعية والمشكلات العائلية، وتركز على تصوير المشاعر والانفعالات، كما

يبرز تعاطف الكاتب مع شخصياته، وهو يجمع في كل ذلك بين تأثره بالتراث العربي والإنتاج الغربي.

ثم خطت القصة الحديثة خطواتها نحو الإبداع والابتعاد عن التقليد على يد توفيق الحكيم ومحمود تيمور وأحمد رضا حوحو في الجزائر، فقد صور **توفيق الحكيم** من خلال (عودة الروح) التي ظهرت عام 1933 تماسك الشعب المصري وتلاحمه ضد ظلم المستعمر حين يجد زعيما يقوده ويوجهه، فهي قصة واقعية روحها مصري، أسلوبها سهل سلس بعيد عن التعقيد.

وفي قصة (الشيخ جمعة ) **لمحمود تيمور** يصور الكاتب حياة المواطنين في الريف المصري من خلال شخصية الشيخ جمعة وحكاياته التي كثيرا ما تمتزج بالخرافة ، وشخصيات محمود تيمور القصصية منتقاة من الطبقة الشعبية، يهتم برسم الشخصية وتحليلها إلى جانب السرد .

ومن رواد القصة الأوائل في الجزائر **أحمد رضا حوحو**، فقد كتب (صاحبة الوحي وقصص أخرى)، و(نماذج بشرية)، وكتاب(مع حمار الحكيم)، ويبدو واضحا من خلال عنوانه أنه مستوحى من فكرة كتاب توفيق الحكيم (حماري قال لي)، بل إن الكاتب يقر بذلك في بداية الكتاب قائلا:« انتهيت من مطالعة لذيذة لكتاب "حماري قال لي" لتوفيق الحكيم واستلقيت في مقعد مريح بعض الشيء[...] وما هي إلا دقائق حتى أغفت عيناي وألقى علي الكرى رداء أسودا خفيفا، ورأيت فيما يرى النائم اليقظ حمارا صغيرا لطيفا تبدو عليه علامات الذكاء والفطنة، يطل علي برأسه من وراء مقعدي، فعرفته على الفور دون إشكال أو عناء فقد كان حمار توفيق الحكيم برأسه ورجله» ، وإن كانت فكرة اتخاذ الحيوانات شخصيات قصصية هي فكرة قديمة في آداب العرب والهنود والفرس كما أشرنا عند الحديث عن (كليلة ودمنة)، فإن مناسبة الكتاب طريفة حيث أن الإذاعة الجزائرية استدعت حمار توفيق الحكيم من أجل الغناء، فاستضافه رضا حوحو وأثار من خلال محاوراته معه قضايا تخص المجتمع الجزائري في الأدب، والفن، والسياسة، والأحزاب السياسية، والمرأة، والصحافة، والدين، والتربية والتعليم، والفقر، والجهل، والزواج من الأجنبيات، والسعادة ... ويحسن أن نسوق شيئا منه حول موضوع المرأة والدين:

«- هل تريد أن نطرق موضوع المرأة؟

ـ كن مرتاحا من هذه الناحية، فلا وجود للمرأة في بلادنا.

ـ عجبا أتعيشون بدون نساء! وكيف تتناسلون؟

قلت: ـ لدينا آلات للنسل نحتفظ بها في بيوتنا.

قال: ـ هذه مشكلة عويصة دعنا منها، فلنبحث في الفقه فإن لي آراء جديدة فيه لا تخلو من فائدة.

ـ أرى أن تحتفظ بها لتحدث بها فقهاءنا علهم يستفيدون منك شيئا جديدا.

ـ لنتكلم إذن في الدين.

ـ دين من؟

ـ الدين الإسلامي.

ـ أعلم ذلك، لكن دين الحكومة أم دين الشعب، الدين الرسمي أم الدين الحر؟!

ـ عجبا... وهل لكم أديان عديدة؟

ـ دينان فقط.. دين رسمي تشرف عليه الحكومة ويحرسه رجالها من موظفي المساجد والطرق، ودين حر يعتقده الشعب ويتزعمه رجال الإصلاح فيه».

وإن كان عبد الملك مرتاض قد سجل للكاتب بعض الهنات في التعبير والنحو من خلال هذا الكتاب، فإنه يعترف أن حوحو يملك الكثير من الخيال والابتكار إلى جانب الجرأة في طرح المشاكل، كما يمتاز بالسخرية الحادة والنقد العنيف الذي ينبئ عن تشاؤم الكاتب وثورته على الأوضاع السيئة التي يريد لها بديلا أحسن وأرقى ، وكما تأسفنا لوفاة رمضان حمود في سن الشباب وهو يدعو إلى نظرة جديدة في الشعر، فإننا نأسف أيضا لأن أيادي الاستعمار الآثمة اغتالت رضا حوحو وهو في سن العطاء يحمل مشروعا قويا في ميدان الكتابة القصصية، وحسبه فضل الشهادة.